

تَبّاً لَكُمْ أَحْفَادُ الْقَرْدَةِ!



الثلاثاء 4 أغسطس 2015 12:08 م

بقلم: أحمد الحارون

وعلى مقربةٍ من مرمى البصر لمحتُ جملاً يستريحُ من جفله ووهج الصحراء، ويأتي غُرابُ البين ليحطَّ على سنامه، ويعبث بمنقاره اللئيم في جلده، فينغص عليه راحته، وأستحضر من آلام الجمل وصبره آلام فلسطين وقسوة الاحتلال، كما يأتي أسوأ شعوب الأرض وأجبنها لتنفّر الشباب بالرصاصات، وتجوس خلال الديار، ما أشبهك يا جملي بلدي! لا يختار غراب البين إلا سنام الجمل ليفسد على من يغطّيه راحته، فيشفق من وضع القتب علي جرحه، أتراك يا فلسطين تشبهين الجمل؟ لا تستريحين من همك ليلا أو نهارا، ولست بمنأى عن غربان البين التي أفضت مضجعا وألمت سنامك، ومتى تعانق القدس مطر الأمان من رصاصات العدو الآثم أو عبث الصديق الأحمق؟

أتعجب! كيف لغرابٍ في حجم دمية صغيرة في يد رضيع أن يعبث بناقة أو جمل؟ وكيف تعبث قبضة من شراذم اليهود لا تساوي في جملة عدد مدينة صغيرة من مدننا كل هذا العبث بنا وبالمحيطين؟ يبدو أن لكل الأحياء سناماً، ولكل الخلق في هذه الدنيا نصيب من عبث غرابٍ من الغربان، لله دره من زند جمل صبور، يذكرني بكل أم من أمهات فلسطينا الحبيبة، وتحية لك أيها الجمل الصابر على العطش وتحمل لغيرك ثقل السقاء؛ تعرف طريق الآبار ولا ترى قيعانها، تماما كالوطن التي تلد وتربي وليدها على الشهادة، وعلى كبرياء سنام الجمل مهما كانت جروحه وقروحه، ومهما عبثت به غربان بني قريظة أو أحفاد بني النضير، وسيظل الغراب غراباً مهما طلي ريشه بلون الطاووس، أو قلد هديل الحمام، ولا ننسى ما حيينا محمد الدرة؛ ولا طفل الأمس الفلسطيني النابلسي الرضيع علي سعد دوايشة، وستظلين يا أمي لك صبر الجمل وعلو سنامه؛ وقدردنا أن ننام وعيوننا مفتوحة لكي لا تنغص الغربان لنا سناماً، لكن وإن كنّ من الذين لا يتشاءمون لكن صيحات هذه الغربان ونعيقها أيقظت الموت الكامن داخلي، فهو لا ريب مصيبي هنا أو هناك، قاعداً أو قائماً، وعلى كل حال فأنا قانع بكل ما في علم الله غيباً، فلست أخاف بياض السيوف ولا نعيق الغربان، وما أقرب دورنا بقبورنا!

يا أُمَّةَ الْمَلِيَّارِ أَيْنَ قُلُوبُكُمْ *** أَيْنَ الْمَشَاعِرُ هَلْ غَدَتْ أَخْجَاراً؟
لَمَّا رَأَيْتُمْ جِشْمَهُ مُتَنَاشِراً *** وَدِفَاءَهُ صَارَتْ عَلَيْهِ دَنَاراً
يا أُمَّةَ الْمَلِيَّارِ هَلْ مِنْ غَضَبَةٍ *** لِيهِ تَمَحَّوْا دُلَّتْنا وَالْغَارَا